وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

بالتنسيق مع مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية

شهـــــــــادة مشاركة

يتشرف السادة : رئيس القسم ، مدير المخبر، وعميد الكلية بمنح هذه الشهادة للدكتور"ة" : **ارفيس علي** ، **من جـــامعة محمد بوضياف، المسيلة**، نظير مشاركته في فعاليات الندوة الوطنية حول: "**فلسفة المواطنة والمجتمع المدني في الفكر العربي المعاصر**" والمنعقدة يـــوم: 13ديسمبر 2022 بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، حضوريا و عن طريق تقنية التحاضر عن بُعد .

بمداخلة بعنوان: " مفهوم الوطن من منظور عبدالحميد بن باديس "

رئيس القسم

أ: حسني عبدالنور

مدير المخبر

أ.د/ رحاب مختار

مدير المخبر

العميد

علي الدين يحي

جامعة محمـــد بوضيـــاف المسيلـــة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة بالتنسيق مع:

فرقة البحث والتكوين الجامعي PRFU: فلسفة التربية على البيئة والمواطنة

مخبر الدراسات الانثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية " فرقة: فلسفة التغيير"

برنامج الندوة الوطنية :

فلسفة المواطنة والمجتمع المدني في الفكر العربي المعاصر

13 ديسمبر 2022

حضوريا وبتقنية التحاضر عن بعد

مقر مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية (مجمع المخابر)

افتتاح النـــــدوة:

- آيات بيّنات من الذكر الحكيم.
- النشيد الوطـــــني.
- كلمة رئيس الندوة.
- كلمة رئيس قسم الفلسفة.
- كلمة مدير المخبر/ رئيس فرقة البحث (فلسفة التغيير).
- كلمة عميد الكلية. والافتتاح الرسمي لأشغـال النـــدوة.

رئيس الجلسة العلمية الأولى: مجكدود ربيعة		من 9.30 إلى 10.30
المتدخل	عنوان المداخلة	الجامعة
سليمان ملوكي	المواطنة والتعددية، من ضيق الهويات إلى سعة الانتماء إلى الدولة	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
بكير حاج سعيد	المواطنة بين المحلية والعالمية	المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر)
علالي هناء	مطلب المواطنة الكونية في ظل التعددية الثقافية	جامعة باجي مختار (عنابة)
خوضر رياض	المواطنة التثاقفية عند فتحى التريكى	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
بوزيرة عبد السلام	نحو تأصيل المواطنة الجندرية في العالم العربي	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
برول جمال	نحو تأسيس مواطنة أخلاقية صالحة- مقاربة في فكر طه عبد الرحمان-	جامعة باجي مختار (عنابة)

رئيس الجلسة العلمية الثانية: مسالتي عبد المجيد		من 10.30 إلى 11.30
المتدخل	عنوان المداخلة	الجامعة
عبد الدائم عز الدين	الهوية والمواطنة من المنظور الإسلامي	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
أرفيس علي	مفهوم الوطن من منظور عبدالحميد بن باديس	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
بورنان خيرة	المواطنة وجدلية الديني والسياسي عند برهان غليون	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
محمودي سيف الدين	البعد الثقافي للمواطنة في المجتمع - إدوارد سعيد أنموذجا-	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
عمار طرابلسي مشتة ياسين	قراءة نقدية لمفهوم المواطنة في الفكر العربي المعاصر السياقات والدلالات محمد أركون نموذجا	جامعة قسنطينة 2. المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة (الجزائر)

رئيس الجلسة العلمية الثالثة: بورنان خيرة		من 12.00 إلى 13.00
المتدخل	عنوان المداخلة	الجامعة
ضيف الله خوني	أسس قيام واستمرار الأمة عند المفكر الجزائري مولود قاسم نابت بلقاسم	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
بازة الحاج	فكرة المواطنة عند عبد الله العروي	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
بوراس يوسف	مفهوم المجتمع المدني في الفكر العربي المعاصر	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
لصقع الربيع	المجتمع المدني والواقع العربي	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)
مجكدود ربيعة	دور المجتمع المدني في تعزيز قيم المواطنة.	جامعة محمد بوضياف (المسيلة)

نقاش مفتوح

- قراءة توصيات لجنة الصياغة
- توزيع الشهادات على المشاركين
- اختتام أشغال الندوة

جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة ـ

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم الفلسفة

فرقة البحث والتكوين الجامعي PRFU الموسومة بـــ: فلسفة التربية على البيئة والمواطنة (جامعة المسيلة)

فرقة فلسفة التغيير: مخبر الدراسات الأنثروبولوجية والمشكلات الاجتماعية (جامعة المسيلة)

الندوة الوطنية:

فلسفة المواطنة والمجتمع المدني في الفكر العربي المعاصر

يوم: 2022/12/13

عنوان المداخلة:

مفهوم الوطن من منظور عبدالحميد بن باديس

الأستاذ: ارفيس علي

مقدمة:

مما لاشك فيه أن الجزائر قد تعرضت على مدى قرن واثنتين وثلاثين سنة للاحتلال الفرنسي الذي شرّد أهلها واغتصب أرضها واستباح ثرواتها وخيراتها، وركز منذ البداية على: « إحكام السيطرة السياسية والإدارية على هذه الأرض وعلى شعبها، واستمرت فرنسا في سياستها القائمة على محو الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل مقوماتها اللغوية والثقافية والروحية والحضارية، بقصد القضاء عليها باعتبارها العقبة الكبرى التي وقفت في وجه مخططاته لابتلاع الجزائر نهائيا» [1]

ويلاحظ أن عملية الدمج التي فرضها الاحتلال على الجزائر، ورفضها الجزائريون كانت ذات وجهين:« فمن ناحية تعتبر الجزائر بحكم تطبيق الادماج عليها جزءا لا يتجزأ من فرنسا أو بالأصح من التراب الفرنسي، ومن الناحية الأخرى يعتبر الجزائريون أصحاب البلاد مواطنين من الدرجة الثانية يقومون بجميع الواجبات المطلوبة من المواطنين الفرنسيين، ولكنهم لا يتمتعون بحقوق وامتيازات المواطن الفرنسي من أصل أوروبي في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وعلى هذا فهم فرنسيون وغير فرنسيين في وقت واحد، فرنسيون في أداء الواجبات مثل الخدمة العسكرية والضرائب وغيرها، وغير فرنسيين من ناحية حرمانهم من حقوق المواطن الفرنسي وخضوعهم لقوانين زجرية خاصة بهم وحدهم أطلق عليها اسم قوانين الانديجينا أو قوانين السكان المحليين وهي قوانين في غاية القسوة والبشاعة» [2]

ولقد كان لسياسة الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ الاحتلال سنة 1830 ثلاثة أهداف:« الأول: صنع الجزائر الفرنسية بكل ما يعنيه ذلك من أبعاد، ثانيا: طمس التاريخ والشخصية الجزائرية وإزالتهما من الاعتبار، ثالثا: قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزعج أمن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف».[3]

[1]. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ، ص 74.

[2]. المرجع نفسه، ص 76 ، 77 .

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 89 .

وفي الحقيقة أن الحديث عن مفهوم الوطن عند الشيخ عبدالحميد بن باديس يحيلنا إلى طبيعة الاحتلال الفرنسي ومشاريعه التدميرية للقضاء على هوية المجتمع الجزائري، وكذا ظروف تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تأسست في الوقت الذي تعرض فيه المجتمع الجزائري لأبشع احتلال عرفه التاريخ، لأن الاحتلال الفرنسي منذ البداية لم يقتصر على نهب خيرات و ثروات البلاد، بل عمل على تدمير الإنسان الجزائري من الداخل وطمس هويته، وذلك من خلال طمس المعالم العربية الإسلامية للجزائر، فقد شرع في تغيير الشوارع وأسمائها، وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها، وتحويل الدور والقصور والمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا إلى مؤسسات عمومية للجيش وكنائس ومخازن ومستشفيات. من هذا المنطلق يمكن أن نطرح التساؤل التالي: كيف كان مفهوم الوطن من منظور الشيخ عبدالحميد بن باديس ؟

أولا: مفهوم الوطن (لغة واصطلاحا)

1 ــ لغة: يمكن تعريف كلمة الوطن لغةً كما أجمع علماء اللغة العربية، وكما عرّفها ابن منظورٍ في معجمه: **(لسان العرب)** أن الوطن هو المنزل الذي يُقيم فيه الإنسان، وهو موطن الإنسان ومحله. والفعل منها أوطن وأوطنه: اتخذه وطنا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه، وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا، واستوطنتها أي اتخذتها وطنا[1].

ويعتبر الوطن في قاموس: **(محيط المحيط)** لبطرس البستاني المكان الذي يقيم به. ووطن البلد توطينا اتخذه محلا ومسكنا يقيم به. وأوطن بالوطن وبالمكان إيطانا أقام به. والبلد اتخذه وطنا. واتطن البلد اتطانا واستوطنه استيطانا اتخذه وطنا . الوطن منزل إقامة الإنسان ومقره ولد به أم لم يولد. وفي الحديث حب الوطن من الإيمان ج أوطان. والوطن الأصلي في الشرع هو مولد الرجل ومنشأه والبلد الذي هو فيه[2].

2 ــ اصطلاحا: قد عرّف الجرجاني الوطن اصطلاحاً بأنّه المكان الذي وُلِد فيه الإنسان ونشأ فيه، وهناك الوطن الأصلي وهو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه. ووطن الإقامة وهو موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوما أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنا[3]. ويتشابه هذا المعنى بالتعريف اللغوي لهذه الكلمة، ومفهوم الوطن بالمعنى هو البلد الذي يسكنه الإنسان، ويرتبط به، وينتمي إليه، أي أنّ مفهوم الوطن بدأ من المنزل، ثمّ الحيّ،

[1] ابن منظور: لسان العرب، (دون طبعة)، دار المعارف، القاهرة، (دون تاريخ)، ص 4868

[2] بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 975

[3] علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985 ، ص 273

وتوسّع حتى شمل المدينة، وتوسعت الرقعة حتى أصبح داخل حدودٍ جغرافيّة مرسومة على الأرض وعلى الخريطة.

أما تعريف الوطن اصطلاحا في: (**المعجم الفلسفي**) لجميل صليبا فهو بالمعنى العام منزل الإقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد به الإنسان، أو نشأ فيه. والوطن بالمعنى الخاص هو البيئة الروحية التي تتجه إليها عواطف الإنسان القومية. ويتميز الوطن عن الأمة والدولة بعامل وجداني خاص، وهو الارتباط بالأرض وتقديسها، لاشتمالها على قبور الأجداد[1].

ثانيا: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في ظل مشروع الاحتلال الفرنسي التدميري للإنسان الجزائري، واقتلاع الجزائر من جذورها التاريخية والحضارية، وجعلها امتدادا طبيعيا لفرنسا ليس جغرافيا فقط بل تاريخيا وثقافيا واجتماعيا ودينيا وحضاريا. وفي جو الاحتفالات الصاخبة التي أقامها الاحتلال الفرنسي في الجزائر في جويلية من عام 1930 بمناسبة مرور قرنا كاملا على الاحتلال ، كل هذا كان عاملا وسببا قويا في سرعة إخراج فكرة تكوين جمعية العلماء من حيز الأماني إلى حيز الوجود الفعلي. وبالفعل ففي العام التالي مباشرة وقبل أن ينقضي عام واحد على الاحتفالات تمّ :« تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من صفوة من علماء الجزائر، هؤلاء العلماء كلهم أو جلهم ممن له ماضٍ حافل في خدمة الثقافة العربية والدعوة الاصلاحية ومقاومة مشاريع الاحتلال ضد الشخصية الوطنية للشعب الجزائري مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ محمد البشير الابراهيمي، الشيخ الطيب العقبي، الشيخ العربي التبسي، الشيخ مبارك الميلي، وهكذا برزت جمعية العلماء إلى الوجود رسميا في الخامس من شهر ماي سنة 1931»[2] . وقد اتخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا» شعارا لها. وهذا لربط الجزائر بمخزونها العقدي و امتدادها الطبيعي العربي الإسلامي، وفصلها عن مركزية الغرب و غاياته الاستعمارية.

ولهذا يمكن أن نصف محاولات رجال الحركة الإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنها كانت جزئية فردية غير شاملة للوطن كله، وصيحة فرد لا حركة مجتمع، هذا ما جعل الشيخ عبد الحميد بن

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994 ، ص850

[2] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981 ص67

باديس يؤمن بحتمية العمل الجماعي:« إن ما وصلت إليه أوضاع الأمة الجزائرية من تدهور وتردي في ظل الاستعمار الفرنسي الغاشم، لم يترك للإمام ابن باديس من خيار سوى الانطلاق في دعوته، ولو بصفة فردية، ورغم الجهود الفردية المتواصلة التي كان يقوم بها ابن باديس في تلك الفترة، إلا أنه كان يؤمن بوجوب العمل الجماعي، وإنشاء حركة منظمة تتولى انتشال هذه الأمة من وهدة الجهل والتنصير والفرنسة».[1]

وقد لاحظ الاحتلال الفرنسي أن جمعية العلماء أدخلت بيداغوجية وطنية جديدة في حملتهم التعليمية، فابن باديس كان قد:« استعمل هذه الطريقة الجديدة في محاضراته في الجامع الأخضر، لكي يعد طلابه لمسؤولياتهم الوطنية، فقد علمهم " المحفوظات العربية" و" الأناشيد الوطنية " وكان الطلاب يحفظون ذلك وينشدونه في المناسبات الاجتماعية والدينية، مثيرين بذلك روح الوطنية والتضامن الإسلامي والحرية»[2].

ولهذا ساهمت جمعية العلماء خلال العشرينيات في خلق وبعث التاريخ الوطني، فبفضلها تم توعية الجزائريين بتاريخهم وغرسه في أذهان الطلاب، وكانوا يدعون الجزائريين إلى اليقظة من سباتهم ، وفي هذا الصدد ظهر مبارك الميلي كأول مؤرخ جزائري حديث، لأنه حاول:« أن يعيد كتابة تاريخ الجزائر على أساس وطني من خلال كتابه " تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ، وباعتبار الميلي عضوا من العلماء فقد ركز على فكرتي الإصلاح والوطنية في تاريخه. وقد تأسف على أن الجزائريين في وقته كانوا يجهلون كل شيء عن تاريخهم، بينما كانوا يعرفون الكثير عن تاريخ البلاد الأجنبية».[3]

وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب في صيف 1928 أي قبل عامين من احتفال الفرنسيين بمرور قرن على الاحتلال، والكتاب هو:« بدايات مشروع ثقافي وطني لإحباط المشروع الاستعماري، فالشيخ مبارك ينص في أكثر من مكان، على كل ما من شأنه أن يوحد الشعب ويقضي على عناصر التفرقة. وتحليل تناول الشيخ مبارك للتاريخ الجزائري، يكشف عن مسعى وطني واضح من أجل توظيف التاريخ في إيقاظ الشعور القومي، وفي خدمة مفهوم للوطن ومشروع للثقافة لا يمكن إلا أن يكون متناقضا مع استمرار الاستعمار».[4]

---

[1] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة ، 1997، ص 87.

[2] أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ط4 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 ، ص 400.

[3] المرجع نفسه، ص 401 ، 402.

[4] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ت) ، ص 36، 37.

ثالثا: مفهوم الوطن في فكر عبدالحميد بن باديس

كان الشيخ عبدالحميد بن باديس ابن باديس من السباقين إلى الحديث عن موضوع الوطن والوطنية في الوقت الذي كان الكلام عنها ممنوعا أو خطيرا. وقد كان ذلك في عام 1925 حينما أصدر جريدته «المنتقد» وجعل شعارها: «الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء». في فترة كانت:« كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها، وقليل جدا من يشعر بمعناها، وإن كان ذلك المعنى دفينا في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها، لا سيما في أمة تنسب إلى العروبة وتدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد»[1]

وعاد في عام 1937 لشرح شعار «المنتقد» والتأكيد على المعنى السابق في مقال عنوانه: «الوطن والوطنية». وقد اعتبر أن شعور الإنسان بالإنتماء إلى الوطن شعور فطري شأنه في ذلك شأن كل المخلوقات الحية، التي تشعر بحب الذات وغريزة البقاء، فقال في هذا السياق: «من نواميس الخلقة حب الذات للمحافظة على البقاء، وفي البقاء عمارة الكون. فكل ما تشعر النفس بالحاجة إليه في بقائها فهو حبيب إليها. فالإنسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته، لما يرى من حاجته إليهم واستمداد بقائه منهم، وما البيت إلا الوطن الصغير، فإذا تقدم شيئا في سنه اتسع أفق حبه وأخذت تتسع بقدر ذلك دائرة وطنه»[2].

ويرى الشيخ عبدالحميد بن باديس أن لفظة الوطن لم تكن تجري على لسان أحد بمعناها الطبيعي الاجتماعي العام لجهل أكثر الأمة بمعناها هذا وعدم الشعور به، ولخوف أقلها من التصريح به. أما اليوم فقد شعرت الأمة بذاتيتها وعرفت معنى الوطن، وهو يعرّفه بأنه بمثابة:« قطعة من الأرض التي خلقها الله منها (الأمة) ومنحها لها، وإنها هي ربتها وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها، سواء اعترف لها به من اعترف أم جحده من جحد»[3].

وبفكر ابن باديس عن الوطن، أراد أن يرد على فرحات عباس عندما نفى هذا الأخير وجود أمة جزائرية، حيث قال:« بحثتُ في التاريخ، وسألت الأحياء والأموات، وزرت القبور، فلم يحدثني أحد عن هذا الوطن» فأجابه ابن باديس بعبارات زعزعت من كانوا يعتقدون أن هذه الأمة قد اندثرت فعلا، وبنوا على ذلك أوهام الاندماج في أمة

[1] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 ، ص 174

[2] عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج1، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص 366

[3] عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج2، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص 365

أخرى، قائلا :« إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، وهي لا تريد أن تندمج»[1].

رابعا: موقف الإنسان من الوطن من منظور عبدالحميد بن باديس

من أهداف التربية عند ابن باديس خدمة الإنسانية ونشر محبتها بين تلامذته في جميع شعوبها وأوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها، وذلك بهدف نشر المحبة والأخوة والتفاهم والسلام بين أبناء الإنسانية قاطبة، يقول ابن باديس:« أنا زارع محبة ولكن على أساس من العدل والانصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان، ومن أي دين كان، فاعملوا للأخوة ولكن من يعمل للأخوة، فبذلك تكون الأخوة صادقة»[2]

وهو يحث دائما تلامذته وأتباعه على نبذ التعصب والحقد والبغض والكراهية لمن يخالفهم في الدين أو الجنس، وأن يعملوا على نشر المحبة والأخوة بين الناس بأعمالهم وسلوكهم العام، لأن هذا هو روح الإسلام وجوهره، يقول ابن باديس:« نهضتنا نهضة بنيت على الدين، فكانت سلاما على البشرية...لا يخشاها ـ والله ـ النصراني لنصرانيته، ولا اليهودي ليهوديته، بل ولا المجوسي لمجوسيته، ولكن يجب ـ والله ـ أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته»[3]

ويرى ابن باديس أن خدمة الوطن الجزائري ومحبته تعتبر خدمة ومحبة الإنسانية، لذلك فإن خدمة الوطن تأتي بالنسبة له في الدرجة الأولى من اهتمامه، فهو الطريق الطبيعي لخدمة الإنسانية، ثم تأتي بعده في الترتيب خدمة الوطن المغاربي ثم الوطن العربي الاسلامي ثم وطن الإنسانية العام، ويرى ابن باديس أن الناس ازاء هذه الحقيقة أربعة أقسام:

ـ قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة وهؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان، وهم في الغالب لا يكون منهم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهم.

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 372

[2] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 276

[3] محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق، ص 65

ـ وقسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره ونفعه، ولو بإدخال الضرر والشر على الأوطان الأخرى، بل يعملون على امتصاص دماء الأمم والتوسع في الملك، لا تردهم إلا القوة، وهؤلاء شر وبلاء على غير أممهم بل وعلى أممهم فهم مصيبة البشرية جمعاء.

ـ وقسم زعموا أنهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر، وأنكروا وطنيات الأمم كما أنكروا أديانها ووصفوها بأنها مفرقة بين البشر، وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة.

ـ وقسم اعترف بهذه الوطنيات كلها، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها، وآمن بأن الإنسان يجد صورته وخيره وسعادته في بيته ووطنه الصغير، وكذلك يجدها في أمته ووطنه الكبير ويجدها في الإنسانية كلها وطنه الأكبر. وهذا القسم الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة. إذ هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها وعلى الأمة بجميع مقوماتها وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها[1].

ويقصد ابن باديس بهذه المفاهيم المختلفة للوطن، بأن الوطن الصغير هو "البيت والأسرة" والوطن الكبير "الأمة"، والوطن الأكبر "الإنسانية"، هذه المعاني والمفاهيم المختلفة للوطن تتحقق وتنمو بمثل نمو حياة الإنسان عبر مراحلها المختلفة والتي من خلالها تتوسع مداركه وآفاقه. فالإنسان لا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف واجب الوطن الكبير، ولا يعرف ولا يحب الوطن الكبير إلا من عرف واجب الوطن الصغير.

خامسا: فكر الشيخ عبدالحميد بن باديس في كتابات الفلاسفة والمفكرين والمستشرقين

الفكر التحرري والقومي للشيخ عبدالحميد بن باديس، وكتاباته حول الوطن والوطنية قد أشاد به الكثير من الفلاسفة والمفكرين أمثال: الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي الذي اعتبر أن جمعية العلماء المسلحافظت على مقومات الشخصية الجزائرية وحاربت الطرقية المنحرفة، فابن باديس والإبراهيمي ورجال الجمعية، قد: :« حاربوا التعليم الاستعماري الهادف إلى تحطيم مقومات الشخصية وقطع الطفل الجزائري عن الثقافة العربية الإسلامية، وحاربوا كذلك العقلية الخرافية (المرابطية)، فتلك العقلية بما فيها من خرافات وإشاعات تتنافى مع روح الإسلام»2

[1] عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 367 ، 368

[2] الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ط1، دار الهدى، الجزائر،1997 ، ص 105

بالإضافة إلى الفيلسوف الفرنسي **فرنسيس جانسون** الذي اعتبر أن جمعية العلماء قامت بإصلاحات شاملة، وذلك من خلال إنشاء المدارس ونشر الوعي الوطني ومحاربة الطرقية المنحرفة، ورأى أن ثورة الشيخ عبدالحميد بن باديس قد:« أحدثت إصلاحا شاملا فيما وصل إليه الإسلام، بعد تخلصه من التحريف والشوائب التي علقت به نتيجة للتفسيرات المشكوك في صحتها، حيث تراكمت خلال قرون عدة، كما عملت على تعميم الثقافة العربية بإنشاء مدارس تتولى تدريس اللغة العربية ونشرها في الجزائر، كما نشرت الوعي القومي مما وقف عقبة في وجه السيطرة الاستعمارية، ومما أقلق سلطات الاستعمار التي كانت تستخدم فئة من رجال الدين المأجورين لتجعل الإسلام وسيلة لتخدير الشعب، كما قاومت خطة القضاء على اللغة العربية، واستخدام كل سلاح لمحاربة تعليمها، ودثر ثقافتها، لتصبح نوعا من التراث الذي لا يجد مجالا للبقاء، في غير بضع عشرة مدرسة من المدارس العتيقة التي تقرئ القرآن»[1]

كما أشار الباحث الكندي **أندري ديرليك** في رسالته للدكتوراه : (عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية) المقدمة لمعهد العلوم الإسلامية بجامعة ماقيل McGill بكندا في مارس 1971 أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استطاعت أن تحافظ على هوية المجتمع الجزائري وأن تضع أسس القومية الجزائرية، ففي :« الوقت الذي كانت فيه فكرة وجود الجزائر غير واضحة في عقلية معظم الجزائريين، وضعت حركة عبد الحميد بن باديس الإصلاحية أسس القومية الجزائرية للشعب، لقد تصور عبد الحميد بن باديس شخصية جزائرية مستقلة، وبذل جهده كي يبلغ بها نضجها الكامل، لقد كانت نتيجة التزامه للأمة الجزائرية أن ولدت الثورة الجزائرية عام 1954 ، والدولة ذات السيادة التي نشأت عام 1962»[2]

كما ركزت مجموعة من الكتابات **الاستشراقية الإسرائلية** على دور الشيخ عبد الحميد بن باديس في الحركة الإصلاحية، لا سيما ما يتعلق بدوره الفكري والدعوي الذي كان له تأثير قوي على حشد شعبه لمقاومة ومحاربة الاحتلال بشتى الطرق والوسائل.

حيث أشار كتاب (ظهور الدولة الحديثة في افريقيا) للمستشرقين **ميخائيل أفيتبول، ودانيال زينسون** إلى اعتبار الشيخ ابن باديس أحد:« القادة الإسلاميين والقوميين الذين ساعدوا على التخلص من الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ العشرينيات من القرن الماضي. وأنه على العكس من فرحات عباس كان هناك قائد ديني آخر هو

[1] محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1999 ، ص 60.

[2] أندري ديرليك، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، ترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني،(دط)، عالم الأفكار، الجزائر، 2013 ، ص 263

ابن باديس الذي اعترف بكينونة وأهمية الأمة الجزائرية التي لم يعترف بوجودها فرحات عباس، إذ أن ابن باديس اعتبر أن الأمة الجزائرية أمة ذات كيان تاريخي وديني وقومي وإثني»[1]

واعتبر الكتاب أن الفكر المقاوم السياسي الإصلاحي لابن باديس يتلخص في أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادته، كانت تمثل الطموحات (القومية) لكثير من الجزائريين، في نفس الوقت الذي احتفظت فيه جمعية العلماء بطابعها الديني الإسلامي، لأنها رأت في الإسلام أحد أبرز وأهم سمات الأمة الجزائرية التي تختلف عن الأمة الفرنسية المسيحية، وأضاف الكتاب أيضا إلى أن:« الفكر الإصلاحي لابن باديس عمل على إحياء الإسلام من خلال خطبه وعظاته ودروسه الدينية وجولاته ومقالاته الصحفية، فقد عمل على بث الفكر المقاوم والاستقلال عن الاستعمار لكن بدون عنف، مؤمنا بأن الإصلاح والتطور التدريجي من شأنهما أن يقودا إلى نهوض أمة جزائرية مستقلة»[2]

أما البحث الذي حمل عنوان(حركات التمرد الإسلامية في المغرب العربي) من إعداد المستشرق الإسرائيلي **يعقوب دانيال**، قد أشار إلى أن الشيخ ابن باديس هو أول من شكل الصورة القومية الجزائرية التي مزجت بين المقومات الدينية (الإسلامية) والقومية، معتبرا إياه القيادي الجزائري الأول الذي عمل على تحقيق استقلال سياسي للجزائر عن فرنسا، وذلك بما طوره وبثه في نفوس الجزائريين من فكر تحرري وثوري. واعتبر يعقوب دانيال أن:« الفكر الإصلاحي لابن باديس يتلخص في محاولته تطوير مفهوم (الأمة الجزائرية ذي الخصوصية الثقافية والماضي المشرف) واختلافه الشديد مع مشايخ الصوفية بالجزائر الذين عملوا على إضعاف مظاهر القوة القومية والإسلامية الحقة في نفوس الشعب الجزائري»[3]

كما اعتبر يعقوب دانيال أن كلا من (ابن باديس، وفرحات عباس، ومحمد بن جلول) هم من قاموا ببلورة الصورة القومية للجزائر في مواجهة الاستعمار الفرنسي، تلك الصورة التي تبلورت من خلال عمل سياسي ودعائي أكد على مساواة الجزائريين المسلمين مع الفرنسيين الأوربيين المسيحيين، إلا أن:« هؤلاء القادة الثلاث اختلفوا فيما بينهم حول ما هو الشرط الذي يحكم المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، هل هو الاندماج الجزائري في المجتمع

[1] أحمد بهنسي، رؤية الاستشراق الإسرائيلي لعلماء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، (د ط)، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 13.

[2] المرجع نفسه ، ص 14.

[3] المرجع نفسه ، ص 14، 15.

الفرنسي، أم الحصول على استقلالية عن فرنسا؟ وبرز من بين ذلك فكر ابن باديس المؤكد على ضرورة الاستقلال وعدم التبعية لفرنسا»[1]

أما كتاب (المسلمون واليهود في المغرب) للمستشرق الإسرائيلي **يجيئال شالوم نزري** قد أشار فيه إلى أن:« ابن باديس كان من المتنبهين مبكرا للمشروع الصهيوني في فلسطين، وله مقالة نشرت في صحيفة الشهاب عام 1938 أعرب فيها عن ضرورة الحرص على المقدسات الإسلامية في فلسطين وعدم السماح بأي مشروع قومي صهيوني بالأراضي المقدسة. وأن موقف ابن باديس يأتي كرد فعل طبيعي للفكر القومي الذي يحمله والذي يعادي أية مشاريع قومية أخرى في المنطقة العربية أو الإسلامية، وهو يتمسك بموقف قومي معادي لأي طموح قومي يهودي في المنطقة» [2]

[1] أحمد بهنسي، رؤية الاستشراق الإسرائيلي لعلماء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 15.

[2] المرجع نفسه، ص 17، 18.

الخاتمة:

بعد دراستنا لمفهوم الوطنية من منظور عبدالحميد بن باديس، حاولنا أن نستخلص جملة من النتائج تتمثل في:

ـ الاحتفالات التي أقامها الاحتلال الفرنسي في الجزائر في جويلية من عام 1930 بمناسبة مرور قرنا كاملا على الاحتلال، كان عاملا وسببا قويا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال شعارها: «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا» قد أدخلت بيداغوجية وطنية جديدة في حملتهم التعليمية، فابن باديس كان قد استعمل هذه الطريقة الجديدة في محاضراته في الجامع الأخضر، لكي يعد طلابه لمسؤولياتهم الوطنية.

ـ الشيخ عبدالحميد بن باديس كان من السباقين إلى الحديث عن موضوع الوطن في الوقت الذي كان الكلام عنه ممنوعا أو خطيرا. وقد كان ذلك في عام 1925 حينما أصدر جريدته «المنتقد» وجعل شعارها: «الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء».

ـ يرى الشيخ ابن باديس أن خدمة الوطن تأتي بالنسبة له في الدرجة الأولى من اهتمامه، فهو الطريق الطبيعي لخدمة الإنسانية، ثم تأتي بعده في الترتيب خدمة الوطن المغاربي ثم الوطن العربي الاسلامي ثم وطن الإنسانية العام.

ـ الوطنية الإسلامية العادلة عند الشيخ عبدالحميد بن باديس هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوّناتها وعلى الأمة بجميع مقوّماتها وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها.

ـ حب الوطن وغرس الوطنية في فكر ابن باديس لا يكون إلا من خلال الاهتمام بالتربية والتعليم في المدارس والمساجد. وكذلك الاهتمام بالإعلام وبالنوادي والجمعيات والفرق الكشفية.

قائمة المصادر والمراجع:

1 ـ تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

2 ـ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007.

3 ـ تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

4 ـ مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة ، 1997.

5 ـ أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ط4 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

6 ـ مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ت).

7 ـ محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

8 ـ عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج1، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997.

9 ـ عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج2، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997.

10 ـ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

11 ـ الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ط1، دار الهدى، الجزائر،1997.

12 ـ محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1999.

13 ـ أندري ديرليك، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، ترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني،(دط)، عالم الأفكار، الجزائر، 2013.

14 ـ أحمد بهنسي، رؤية الاستشراق الإسرائيلي لعلماء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، (د ط)، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، (د ت).

15 ـ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994.

16 ـ ابن منظور: لسان العرب، (دون طبعة)، دار المعارف، القاهرة، (دون تاريخ).

17 ـ بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987.

18 ـ علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، 1985.